Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل هذه الجمل من عشرات التفاصيل الحرفية الصغيرة التى لايمكن أن تصدق حرفيا على النموذج الكونى الأعلى يشدها إلى منطقة التمثيل الفنى الحر ، ويتولى توزيع مشاهد التوافق على مناطق متباعدة تغمرها مشاهد التخالف الكلى مهمة إيقاع التوازى بحيث يصبح خافتا ضعيفا لا يقوى على صبغ العمل الروائى بجميع عناصره الفنية بالصبغة المجازية المباشرة ، مما يضمن له كما قلنا وجودا حيويا قائما بذاته ، بغض النظر عما يمكن أن تحيل إليه بعض أجزائه اليسيرة من إشارات تشبه إلى حد ما الموروث الدينى فى بعض ملامحه ، وإن كانت تختلف عنه فى بنيته ودلالته .

١ - ٢ عندما نتأمل شفرة الزمن نجد أن المؤلف يستخدم فى هذه الرواية حيلة فنية يكررها بعد ذلك فى " الحرافيش " وهى تكنيك التصغير ، فبعد أن كان يتميز فى أعماله السابقة بنزعة التكبير الواقعى لحيوات الأشخاص والأجيال حتى تستغرق مجلدات عديدة ، فانه قد شرع هنا فى اتخاذ منظور فنى معاكس ، إذ يقف على مسافة بعيدة من مدى بصره ويحاول فى لقطة شاملة أن يحيط علما لا بالمكان كله فحسب ، بل بالزمان برمته أيضا . وهذا الطموح الأسطورى يجعل واقعيته الحديثة ذات مذاق ميتافيزيقى واضح ، على أن زمنه الروائى لا يمكن أن يتطابق مع الزمن الخارجى الأبدى بطبيعة الحال ، بل إن مباينته له فى الترتيب والإسقاط ، ودرجة الاستغراق ، ومعدلات التكرار ، تجعله من أبرز الخوالف المجازية للرواية . فهو يسلط الضوء بأناة على معادل لحظة انبثاق الصراع البشرى، فيفرد بابا كاملا لأدهم وأخيه وبنيه منذ الحياة الأولى فى ظل الحديقة الغناء حتى قتل أحد ولديه أخاه وتزوج بابنة عمه ، يدمج كل ذلك فى بنية متماسكة ، ثم يسقط من حسابه آمادا طويلة ونبوءات ، ومئات الآلاف من السنين ، ليستأنف الباب التالى مع جبل فيبسط أحداثه ، ويستغرق فى تفاصيل وقائعها ، ويفعل مثل ذلك مع رفاعه وقاسم ، ويقيم عرفة نظيرا خامسا وأخيرا لهم . فمع محافظته النسبية على نسق الترتيب الخارجى إلا أنه يخلق علاقات جديدة بما يتجاوزه من مراحل ، وما يتوقف لديه بالتفاصيل البطيئة من أحداث ، أو يطويه بسرعة من فصول ، ولكى نتبين أهمية ذلك فى تعديل النموذج الخارجى يكفى أن نتذكر مثلا أنه لا يشير من قريب أو بعيد إلى حادثة دينية كانت ذات